

وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

عبدالكريم خليفة
أكاديمي ولغوي -الأردن

توطئة:

كانت اللغة العربية لعدة قرون خلت لغة العلم والفكر والحضارة، فقد نقلت إليها أنواع العلوم والثقافات المختلفة منذ القرن الثاني للهجرة، فاستطاعت أن تستوعبها وتهضمها ولم تقف عند هذا الحد، بل تجاوزته إلى مرحلة الإبداع والابتكار، فأضافت عن طريق أبنائها إضافات أصلية إلى العلوم بأنواعها، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الإنساني. ثم عدت عليها عوادي الزمن، وأصابت أمم العرب ما أصابها، من تكاتف الأعداء في الخارج متمثلة بالحروب الصليبية في الشرق، ووجهتها بيت المقدس في فلسطين، وفي المغرب مارة بإسبانيا الإسلامية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نالتها التمزقات الداخلية والحروب الأهلية وما صاحبها من انحلال سياسي واجتماعي.

وكانت نتيجة هذا كله أن انزوت هذه اللغة الشريفة، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة بانزواء أهلها، ولم تستيقظ إلا في عصر التلفزيون والرادار والصواريخ العابرة للقارات، عصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر.... فيها من حقيقة أشبه بالحلم.

فها هي لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة أقطار أمتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات، وما يشيره من صعاب وعقبات.

ليت شعرى ماذا يكون موقف اللغة العربية!!! في هذا العالم المتتطور وفي خضم المعارف الإنسانية المتسارعة التي تضع الإنسان في فجر تاريخ بشري

جديد. فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات، فتراجع إلى العدم كما يشاء لها أعداءعروبة والإسلام، أم تنفض عنها غبار الزمن لكي تثير الأدوات الكامنة في طبيعتها اللغوية والتي تجعل منها لغة حية متطرفة تستطيع أن تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية، وهنا تكمن أسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة... .

بدأت أمتنا العربية يقظتها في بداية هذا القرن، وصاحب هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسايرة العصر، وتوطّد دعائم نهضة الأمة ووحدتها. فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة فكان لها شرف السبق في وضع أسس النهوض بهذه اللغة مدركة الإدراك كله أنه لا يمكن أن تنهض الأمة إلا بلغتها القومية، وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناسب اللغة العربية العداء، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها متذرعاً بشتى الوسائل من إقليمية وطائفية حيناً، ومن غيره زائفة على التقدم العلمي والتكنولوجي حيناً آخر. ولم يفت أنصار هذا التيار أن يتخدوا من اللغويين والمنطبعين ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها سلاحاً للتشهير والخذلان، ونحن نستطيع أن نشير إلى فترتين أساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة. فالفترة الأولى تمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، حيث تiar العربية يستعيد حيويته ويشتهر في المشرق.

والفترة الثانية تمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر، وأهم ما تتميز به هذه الفترة من الناحية الإيجابية تحرر الشهال الإفريقي من بقعة الاستعمار من الناحية السياسية وخوضه معركة التعرّيب التي تعتبر أساساً في كيانه الوطني والقومي، وكذلك جاء استقلال بقية الأقطار العربية في المشرق، وتوطيد دعائم التحرر السياسي والاقتصادي_ والثقافي في بعض الأقطار وما أدى إليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة في الوطن العربي.

أما من الناحية السلبية فإن هذه الفترة تميز بالهجمات الشرسة التي يشنها أعداءعروبة على أمتنا العربية مستهدفين كيانها السياسي واللغوي والثقافي بل والحياتي من حيث الأصل. فهناك الآن الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين تدعمه قوى الشر وأعداء العروبة والإسلام، وهناك التيارات الشريرة في الداخل التي تحاول النيل من تراث هذه الأمة وقيمها ولغتها.

في إذا ما وضعنا هذه العوامل جانبا لأنها ليست المهدف من هذا البحث، فإننا نستطيع أن نميز التيارات التالية على المستوى اللغوي في العالم العربي مشرقه ومغربه:

(1) تيار العربية الفصحي المتزمتة.

(2) العربية الحديثة والتي تمثل بلغة المجالات والجرائد.

(3) العامية الدارجة.

(4) اللغة الأجنبية.

وبالرغم من أنني لا أنوي مناقشة موضوع اللغة الأدبية في هذا البحث فإني أجد لزاما علي أن أشير للحق للتاريخ أن هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة أجنبية باللغة العربية قلة قليلة قد تنكرت لأمتها وتراثها وقيمها، ولكنها مع الأسف تركز جهودها الآن على مستوى اللغة العلمية متذرعة في ذلك بحجج شتى لا تثبت أمام الامتحان. أما أولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة، فقد هانوا على أمتهم وبالتالي على عامييهم المختلفة التي لا حصر لها !!! فليت شعري أليس لكل عامية وفي كل مدينة عامية !!! وهكذا ...

وكذلك تكاد العربية الفصحي المتزمتة أن تنحصر في بعض زوايا المؤسسات اللغوية وأن تطور الحياة ومقتضيات العصر تفرض على الأمة الحركة السريعة للحاق بركب الحضارة ومسيرة التطور العلمي والمشاركة في الإبداع والاختراع.

وسوف لا أقف عند اللغة الأدبية ولا أخشى على وحدتها إذ أن "النص القرآني" كفيل أبدي في توحيد اللغة الأدبية. أما الخطر المحدق بنا الآن فإنما يكمن في تطوير اللغة العربية العلمية لكي توافق متطلبات العصر الحديث الحضارية والعلمية. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذا الخطر يتجسم أيضاً في صفوق المؤمنين بالتعريب والمنادين به الآن، وذلك بأن تنشأ لغات علمية عدة في الوطن العربي، فيصعب على العالم العربي وفي قطر من الأقطار أن يفهم ما يكتبه عالم آخر في قطر آخر...

ولا أدل على ذلك من هذا المثال الصارخ: قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب في الرياضيات الحديثة للعالم العربي بلغة أجنبية، ثم ترجم هذا الكتاب، فترجم مع الأسف إلى خمس لغات علمية عربية حتى الآن ! ! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية، ثم الترجمة الأردنية. وكل ترجمة تستعمل رموزاً ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الأخرى، بحجة أن اجتهاها هو الصائب بنظرها... فإن هذا الاجتهد والغيرة على العربية لم يمنع من أن يؤدي إلى بذر بذور لغات علمية مختلفة، وفي هذا تحذير لخطر لغات علمية مختلفة وما يجره من أخطار أساسية على وحدة الأمة وتعاونها وتنسيق جهودها في ميادين العلم والمخترعات الحديثة.

اللغة العربية لغة متطورة حية، والحياة تعني النمو والازدياد. فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت، ولو لا ما كانت هناك لغة عربية اليوم وبالتالي لما كانت هناك أمّة عربية ولكن مصيرها مصير اللغات القديمة التي انقرضت أو تلك التي تأقلمت إلى لغات مختلفة كما حدث للغة اللاتينية. فنشأت عنها الفرنسية والإسبانية والإيطالية والرومانية... إن النص القرآني منع تشتت اللغة واندثارها، وأنه في حفظه إليها من حيث الأساس لم يمنع تطورها ونموها... بل على التقىض من ذلك فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش وهذا يعني أنه أمّات ما عدّها وقضى على الفرضي في العربية وأخضعها لقانون بياني ثابت... وكان هذا في حد ذاته تطوراً عظيمًا في كيان اللغة.

ولم تتوقف عملية التطور في اللغة، بل استمرت باستمرار الحياة وتفاعلها الحضاري، فعمل التطور عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها، فإن لغة الكتابة في القرن الأول الهجري تختلف عنها في لغة القرن الرابع الهجري، وأن اللغة الفصيحة الأدبية التي نقرأها اليوم في مجالاتنا وجرائمنا المتعددة تختلف اختلافاً بينا عن لغة الكتابة في عهد الازدهار الحضاري الإسلامي ولا شك أن هذا الاختلاف يرجع إلى عملية التطور التي ما انفك تلازم طبيعة هذه اللغة. وهذا يطرح على بساط البحث مهمة إنجاز معجم تاريخي للألفاظ العربية والمعاني التي تدل عليها من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى الوقت الحاضر.

المشكلات التي تواجهها اللغة العربية:

لقد ذكرنا سابقاً أن اللغة العربية قد اجتازت امتحاناً صعباً وتجربة قاسية لم تواجهها من قبل في حياتها، ففهنت تلك المشكلات، واستطاعت أن تستوعب جميع المعاني المادية والفكرية، وبالتالي لم يستطع سلطان الأجنبي المستعمرون أن يقضي عليها. وهي الآن تتعرض للخطر العظيم يأتيها من أبنائهما العاقين منهم وغير العاقين أيضاً ومن هجمات الاستعمار الشرسة السياسية والاقتصادية والحضارية واللغوية.

إن لغتنا تتعرض في هذا الوقت إلى خطر عظيم. كما أن أمتنا العربية تتعرض إلى أخطار تهدد وجودها وكيانها. ولا أدل على ذلك من الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين والذي بات يهدد الأقطار العربية الأخرى. والأصوات النابية التي تتعال هنا وهناك في الشرق العربي وفي مغربه. تحمل اللغة العربية وزر المزائم وتندى بتجاوز اللغة الفصيحة إلى لغات أجنبية حية أو إلى لهجات عامية معنة في الفرقه وتقطيع أوصال الأمة والقضاء على هويتها لإبقاءها تحت نير التبعية المطلقة.

وأمام هذا الخطر الدّاهم، يجب أن نعني بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة، فالرغم من

أن اللغة وسيلة الأداء والتفاهم بين الأفراد والجماعة، فإنها في مفهومها القومي غاية في حد ذاتها. فهي مجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والأحساس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات، تتنظم بها الألفاظ انتظاماً في وحدة ذاتية ترتبط ارتباط الشكل بمحتواه... وهنا لا بد أن نطرح هذا السؤال الكبير:

كيف نستطيع رد الحياة النامية إلى اللغة العربية وبسط رقعة الوضع أمام الواقع اليومي لكي تتحقق هذه اللغة بركب الحضارة وتواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايدة في كل يوم؟ إذ ما عسى أن يكون مستقبل أمة ليست لها لغة كاملة؟ ... إن الأمة التي ليس لها لغة تامة صحيحة لا يمكن أن يكون لها فكر تام صحيح.

لا شك أن اللغة العربية تواجه في الوقت الحاضر مشكلات مهمة لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ومن خلال خصائص هذه اللغة وأساليبها ووسائل نموها ونحن نستطيع أن نحدد هذه المشكلات على الوجه التالي:

(1) مشكلة المصطلحات في اللغة العربية.

(2) مشكلة نحو اللغة وصرفها.

(3) مشكلة معجمات اللغة ومفرداتها.

(4) مشكلة رقم اللغة أي الإملاء.

أما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الأسلوب القديم والأسلوب الجديد، في الكتابة الأدبية فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة بل على النقيض أنه دليل على حيوية اللغة وتطورها. فقد قامت الصحافة والمجلات الأدبية بدور مهم في إدخال التعبير المترجم في اللغات الأجنبية إلى اللغات العربية الحديثة، وهي تعبير كثيرة لا يستطيع تمييزها إلا مؤرخو اللغة.

وأن الكاتب الحديث يستعملها في لغته الأدبية دون أن يشعر بأية غرابة أو استهجان. مثل ذلك قولهم: "ذر الرماد في العيون" و"اصطاد في الماء العكر" و"كان الحادث صدى بعيد" و"قال ذلك بصفته مسؤولاً".

ومهما يكن من أمر، فقد انسابت هذه التعبيرات الدخيلة إلى لغتنا وأصبحت جزءا منها. وأن قدرة اللغة العربية على استيعاب هذه التعبيرات وغيرها من التعبيرات المستجدة ليكون إحدى مميزاتها الأصلية في مسيرتها الحية المتطرفة. ونحن إذ نجد بين الفينة والفينية من يشجب مثل هذه التعبيرات في الكتابة الأدبية، فإن اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة من التتبع والمؤاخذة مما يفتح الباب على مصراعيه أمام لغة العلوم والمعارف المستجدة.

ومن أهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصيحة في مسيرتها من حيث هي لغة التعليم العام وبالتالي لغة الكتابة والحديث أيضا لجماهير المثقفين، من مشكلة استصعب دراسة النحوية والدراسة الصرفية مما يبعث على التفور من اللغة. وهنا لا بد أن نفرق بين نحو اللغة باعتباره جزءا من طبيعة اللغة وجوهرها وبين أساليب دراسة هذا النحو أو الصرف ونحن نعتقد أنه في طليعة أسباب هذا التفور من النحو والصرف، يأتي الجمود في اتباع قدماء النحوين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة، والتزام أقواهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه، فقد جمد النحو المعاصر الذي أخذت به المؤسسات التعليمية في الأقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو...

وهكذا أتاه الجمود وصار النحو مع الأسف غاية في ذاتها لا وسيلة للتعبير عن المعاني والأحاسيس. ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين أن يأتوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام. وما يقال عن النحو يقال أيضا عن الصرف من حيث هو قوام تطور اللغة.

فلماذا مثلا يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون أصل الاشتغال من اسم المعنى لا من اسم الذات، وهذا يعني تقديم التجريد على التجسيد، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة.

أما قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها، فإن المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب، بل لم تعتبر إلا اليسير. فأين المعجمات من هذا التراث

الضخم من كتب الأدب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم بأنواعها... فالعربية ما زالت بحاجة إلى معجمات تستوعب الفصيح والقديم والمولد والعربي والمغرب مما ورد في كتب العرب المسلمين الذين ألفوا بالعربية. وهنا تأتي أهمية وضع معجم تاريخي يستقصي الفاظ العربية ومعانيها المتطورة من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر. وإن مثل هذا الجهد الضخم يحتاج إلى تجنيد جميع طاقات الأمة العربية اللغوية تدعيمها مؤسسة على هذا النطاق ذات إمكانيات مالية وفنية كبيرة. إن البحث في مشكلة اللغة يقودنا حتّماً إلى التحسّن بضروره وجود أنواع من المعاجم تكفل للغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية، وبالتالي توفر لأبنائها مجال الإبداع والمشاركة لأنّه لا يمكن الإبداع إلا بلغة الأم، ومعنى الأم هنا اللغة القومية. ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي أو النشوئي والمعجم الاصطلاحي والمعجم المادي (العام) والمعجم العلمي.

إننا بحاجة ماسة إلى معجم يفي بجميع الأغراض العلمية، تعرف فيه الألفاظ العلمية بطريقة قادرة على تطوير الشيء المعرف تصويراً صادقاً ينطبق على ما يدل عليه. إن لغتنا العربية في هذا العصر، عصر الذرة وغزو الفضاء، شديدة الحاجة إلى المصطلحات العلمية والتكنولوجية. لذا فمشكلة المصطلحات هي كبرى مشكلاتها.

مشكلة المصطلحات:

قد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن احتياج أمتنا العربية إلى المصطلحات العصرية اللغوية كاحتياجها إلى جميع وسائل التقدم الحضاري بل أن حاجتها لذلك تأتي في المقام الأول لأنّها مرتبطة بأسباب وجودها، إذ ما عسى أن يكون مستقبل أمة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها.

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية، فقد عانتها الشعوب الناشئة بهذه الأمة اليابانية، قد استطاعت أن تطوع لغتها القومية وأن تصل بها إلى أعلى ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة، بل ها هي اللغة الصينية تطلق بانطلاقـة

شعبها لكي تصل إلى طليعة الدول النووية، دون أن نذكر أئمًا أخرى قد جعلت من لغتها القومية لغات تستوعب جميع المعرف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدانماركية وغيرها.

وقد كان الأمر كذلك فما يتعلّق باللغة العربية قدّيماً. إذ اجتازت في نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعاني الحضارية إذ ذاك نتم لعلمائها وضع كثير من الألفاظ بطرق الاشتقاد والمجاز والتعرّيب.... الخ.

وترجموا تعبيرات دقيقة حتى أصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة إذ ذاك. إن ذلك كله يعني أننا لا نقف الآن أمام تجربة تخشى عليها الفشل، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة، وبرهنـت على حيويتها وقدرتها المتقددة على الاستيعاب. فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر "الخوارزمي"، صاحب كتاب "مفآتـح العـلوم"، "والجرجـاني" صاحب كتاب "التعريفـات" و"الجواليـقي" صاحب كتاب "المـعرب" الأعجمـي في لـغـة العـرب" و"الحفاجـي" المصري جامـع كتاب "شفـاء الغـليل" فيما في كلام العـرب من الدـخـيل" و"الـتهـانـوي" صاحـب كتاب "كـشـاف اـصـطـلاـحـات العـلـوم وـالـفـنـون" .. وأن ما أثبتـتـ من أـسـمـاءـ المصـطـلـحـاتـ فيـ الـكـتـبـ العـرـبـيـةـ أـكـثـرـ ماـ وـرـدـتـ فيـ هـذـهـ الـكـتـبـ بـكـثـيرـ.

وفي العصر الحديث كان القصد الأسـمىـ من اـبـعـاثـ حـرـكةـ المـجـامـعـ، العمل لإـعـدـادـ لـغـةـ قـوـمـيـةـ شـامـلـةـ فيـ مـفـرـدـاتـهاـ وـاـصـطـلاـحـاتـهاـ الـاسـتـعـالـيـةـ التيـ تـحـبـرـيـ مجرـىـ الـوـسـائـطـ فيـ تـأـدـيـةـ الغـرضـ الـعـلـمـيـ.

فالمـصـلـحـ لاـ يـعـنيـ تـسـمـيـةـ جـامـعـةـ مـانـعـةـ لـلـمـسـمـىـ كـماـ يـظـنـ بـعـضـ النـاسـ، بلـ يـرمـزـ إـلـيـهـ رـمـزاـ لـصـلـةـ بـيـنـ الرـمـزـ وـالـرـمـوزـ إـلـيـهـ. وـهـذـهـ الصـلـةـ تـخـتـلـفـ قـوـةـ وـضـعـفـاـ عـلـىـ حـسـبـ الـأـحـرـفـ الـمـؤـدـيـةـ لـلـمـعـنـىـ. فـاـلـصـلـاحـ مـقـصـورـ دـائـماـ عـلـىـ إـحـاطـةـ بـمـعـنـىـ الشـيـءـ الـمـسـمـىـ اـصـطـلاـحـاـ. وـمـنـ أـجـلـ ذـلـكـ كـثـيرـاـ مـاـ نـقـولـ: هـذـهـ الـكـلـمـةـ لـغـةـ معـنـاـهـاـ كـذـاـ وـاـصـطـلاـحـاـ كـذـاـ ...

ويعتمد المصطلح في استعماله وذيوعه على الرغبة والغيرة والدعوة وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتبنته أو على زعزعته وإفائه.

إن المصطلحات من الأمور الوضعية والاعتبارية، فالكلمات المصطلح عليها في المعاني العلمية لا تدل على تلك المعاني من حيث اللغة دلالة تامة، فلذلك ليس من الضروري أن تترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الأوفق أن نتحرى الكلمة التي يمكنها أن تدل على المعنى المطلوب على أحسن الصور وأوضحتها.

وما يجب ملاحظته في اختيار المصطلحات أن بعضها تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال فلا يستعملها عادة إلا طبقة من الاختصاصيين. ففي مثل هذا الحال يمكننا أن نستعمل الكلمات الأجنبية بل ويجوز لنا أن نقيمها على هيئتها الأصلية. أما بعض المصطلحات الأخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذيع، وقد تدخل لغة الشعر والأدب، وهنا يتوجب علينا أن نختار الكلمات العربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. أما إذا اضطررنا إلى استعمال كلمة أجنبية فيجب أن نعرّبها تعريباً تاماً، وذلك بأن نفرغها في قالب عربي يسهل لفظها على الناطقين بالضاد.

لا شك أن غاية الكمال في اللغة هي أن يخصص لكل معنى كلمة معينة أو تعبير معين وأن لا يلتبس في الذهن معنيان من كلمة واحدة، في حين أنه لا يزال في كل اللغات كثير من الكلمات التي تدل على معانٍ مختلفة وحتى على معانٍ متباعدة. فإذا كانت المصطلحات قد وصلت إلى درجة الكمال في بعض العلوم مثل الفيزياء والرياضيات فإنها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الإنسانية. وهنا تأتي أهمية مقارنة المصطلحات التي تستعملها الأمم المختلفة، لكي تدلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الأحوال ولا سيما لكي نتجنب تقليد إحدى اللغات بجميع نواعصها تقليداً أعمى.

فالمصطلح يوضع أحياناً لأدنى ملابسة بينه وبين مسماه، وأوهي صلة بينهما. وإنما القضية التي تطرح نفسها على الساحة العربية هي: تعميم

المصطلحات ونشرها واستعمالها في جميع الأقطار العربية موحدة متفقاً عليها. فإننا لا نستطيع أن نتصور اصطلاحاً تماماً في ذاته غير قابل للتنفيذ والمناقشة بل وقد لا نصل إليه أبداً. وإنما الهدف إيجاد لغة علمية واحدة بجمعية المصطلحاتها في الوطن العربي. فاللغة للأمة جمعياً، ويجب أن تستكمل كل ما يدعوها للبقاء الخصب النامي، وأن تكون قادرة على تناول الأشياء منها استدقة بصورة عربية بحثة تخدم الأدب والعلم والفن والصناعة... وأن الأعداد العربية من حيث كونها لغة قومية وافية، لا يضرها مطلقاً إذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالمياً على ألفاظ علمية بعينها. فهذا شيء يحدث في جميع اللغات الحية.

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين جهودهم في اختيار مصطلحات مفيدة، نذكر منهم:

- (1) الدكتور أمين المulpوف في معجميه الحيوان وأسماء النجوم.
- (2) الأمير العالم مصطفى الشهابي في معجمه النبات.
- (3) الدكتور محمد شرف في معجمه العام.
- (4) المجمع اللغوي المصري في مصطلحاته.
- (5) الدكتور أحمد عيسى في معجمه للنبات.

وقد بحث موضوع "المصطلحات العلمية" في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الإسكندرية في صيف عام 1953. واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جمِيعاً.

وتطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام 1955، إلى بحث هذا الموضوع أيضاً وتألفت فيه شعبة المصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في أربع حلقات هي:

- (1) حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك.
- (2) علوم النبات والحيوان والصحة العامة.

(3) علوم الكيمياء والجيولوجيا.

(4) علوم المواد الاجتماعية.

وفي ربيع 1956 وافق مجلس الاتحاد العلمي العربي على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها:

- الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة في اللغات الأجنبية التي حصرت المصطلحات الدالة على المعاني الكلية في كل فرع وتشتمل على المصطلح الأجنبي الدال على المعنى وتعرinya دقیقاً للمصطلح بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربي وترجمة التعريف إلى اللغة العربية.

- طبع مصطلحات كل مادة في معجم خاص ويرسل المعجم إلى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها.

وأهم ما أراه في هذه الخطة هو "التزام الاستعمال" واتخاذ قرار بالتعريب، ولكننا مع الأسف ما زلنا نجد أنفسنا حيث كنا!!! والسبب في ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التي تواجهها، ولكنه يكمن في السياسة التي تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التي تتأى باللغة القومية على المجالات العلمية لأسباب مختلفة لا مجال لبحثها الآن.

وسائل نمو اللغة في التعبير عن معانٍ الحياة والفكر:

يصاحب النمو الحياة ويبدل عليها. ولذا فاللغة الحية لغة نامية في ألفاظها وفي أساليبها. واللغة العربية هي إحدى اللغات الحية النامية. وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بألفاظ خاصة عن كل ما يجول في الفكر وما تتعامل به الحواس. وقد نمت اللغة العربية في مدارج حياتها الطويلة عبر العصور، فترامت ألفاظ كثيرة من المهجور وغير المستعمل والمغمور في الكتب العربية، المنصور منها والمخطوط، المعروف منها والثانئ بعد في زوايا المكتبات والأقبية، ما يدعم اللغة الحاضرة ويوفر لها الإمكانيات الواسعة للاستيعاب المستجد.

فاللغة العربية كما تنص إحدى الروايات، تتألف من ثمانين ألف مادة، والعلماء يقولون أن المستعمل منها عشرة آلاف. وفضلاً عن هذه الثروة اللغوية الهائلة التي تعتبر رصيداً ضخماً لغة، فإن اللغة العربية تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها. فهناك القياس والاشتقاق والقلب والإبدال والنحو والارتجال والتعريب.

فالقياس من عناصر اللغات الحيوية التي تمدها بالقوة والنماء والنهوض والفتواة دائمة، وأن استقراء القواعد بحد ذاته ليس إلا ضربا من ضرب القياس. فالقياس استبطاط مجهول من معلوم فإذا اشتق اللغوي صيغة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى، سمي عليه هذا قياسا. فالقياس اللغوي هو موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال رغبة في التوسيع اللغوي وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية. وقد توسع الكوفيون في القياس، وأباحوا النسج على القليل النادر، فلا يكادون يرون في الأساليب المروية شذوذًا بل طرقا متباعدة، لذا أن تخير منها ما نشاء وقد روی عن أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب". ولا شك أن حرية الرأي في الأمور الفلسفية والاجتماعية التي نمت وازدهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كان لها صدى في البحوث اللغوية أيضا ولا سيما في القياس.

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر هو السماع إذ اكتفى اللغويون المحافظون بالسماع، فوقفوا في وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل عليه طبيعتها النامية، وما زال مع الأسف بعض اللغويين اليوم، يتمسكون بهذا الاتجاه ويحاولون ترقيع أمزاق الماضي والتعمامي عن مطالب العصر، بل ويتحولون بالبحوث اللغوية إلى ما ينفر من العربية، ويجعلها مستحيلة على محبيها، ناهيك عن أعدائها... هذا مع العلم أن حجة السماع واهية، فقد ورد على لسان أبي عمرو بن العلاء قوله: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لانتهى إليكم علم وشعر كثير" ... فالسماع مبني على الحفظ، وما

لم يحفظ أكثر مما حفظ، مما يسوغ لنا أن نقبل ما يؤديه القياس، ويلغي ما يتمسكون به من حرمة السماع.

أما الوسيلة الثانية لنمو اللغة، ولا سيما من حيث الألفاظ والصيغ فهي ما يسمى بالاشتقاق. والصلة بين القياس والاشتقاق وثيقة. فالاشتقاق عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، والقياس هو الأساس الذي تبني عليه هذه العملية الاشتقاقة كي يصبح المشتق مقبولاً معترفاً به بين علماء اللغة. إنها طريقة في تنمية اللغة وتوسيعها، تقوم على تحوير العناصر الموجودة في اللغة، وتولدها توليداً طبيعياً، وتظل الفروع المولدة متصلة بالأصل. ويبقى ميسمه اللغطي والمعنوي مائلاً فيها، على تنوع وتوسيع.

فإذا لم يوجد للكلمة الأعجمية مقابل في العربية يشتق لها لفظ عربي والاشتقاق قياسي في لغة العرب، قال أحمد بن فارس: "أجمع أهل اللغة إلا ما شذ منهم أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض"، وهنالك ألوان من الاشتلاف متباينة ولكن أشياعها وأخصبها هو الاشتتقاق الصغير ويعنون به: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئه تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لأجلها اختلافاً حروفاً أو هيئه. مثل شارب من شرب، وخذر من حذر".

وذكر أن الأصل في الاشتتقاق أن يمون من المصادر، وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان. ويغلب في العلم، ويقل في أسماء الأجناس كغراب يمكن أن يشتق من الأغرباب وجراد من جرد. والأعلام غالباً منقول بخلاف أسماء الأجناس فلذلك قل أن يشتق اسم جنس لأنه أصل مرتجل، فإن صح فيه اشتتقاق حمل عليه كغراب من الأغرباب. وقد اشتقوا حديثاً (مستشفى) مكان الشفاء (متحفاً) مكان التحف، (مصرف) مكان الصيرفي... الخ.

وقد حمل تيار الجمود بعض المحدثين على القول بأن الاشتتقاق سباعي مقيد بأزمان خاصة وأشخاص معينين.

وبالرغم من أن الأقدمين جروا على الاشتراق من الاسم المعرف، فقلالوا: هندس ودرهم، وخندق وقرطس. وجرى المعاصرون على اشتراق كهرب وكهربائية من الكهرباء، ومغネット ومغناطيسية من المغناطيس واشتقاق أكسد من المعرف أكسيد. أقول بالرغم من ذلك كله فقد وجد في العصر الحديث من يمنع إعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته في كلامها حكم كلامها فيشتق ويشتق منه بقوتهم: "ومحال أن يشتق العجمي من العربي، أو العربي من العجمي.." !!!

ونحن نعتقد أن هذا مفهوم خاطئ فضلاً عن جموده وإعاقته لحيوية اللغة... وهم في ذلك يستندون إلى مناقشات جدلية مبنية على قضايا غير مسلم بصحتها... وأن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها. فقد كان العرب، في علاقتهم التجارية والسياسية مع الأقوام المجاورة، منذ القدم يتناولون اللفظ الأعجمي، فيصقلونه ويهذبونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم، فيخرج من لسانهم بأنه عربي صميم. وهكذا فإن هذه الألفاظ تعتبر عربية فصيحة، فكيف يمكن بعد ذلك أن تعتبر لغات مستقلة أو أن تحافظ على عجميتها والرأي عندنا أنها ألفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرفها دون أي تمييز إلا ما حكم به الذوق السليم في عنونة الجرس وسهولة اللفظ.

أما إشراقهم على اللغة من الفساد. وبطلان حقائقها، فهي حجة واهية وغير مقبولة للغات الحية المعاصرة دليل على ذلك. فإن الدراسات اللغوية تبين أن أكثر من نصف ألفاظ اللغة الإنجليزية ليست إنجليزية الأصل، وأن أقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من أصل لاتيني والباقي من أصول يونانية وألمانية، وإنجليزية وإيطالية، وإسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلامية وتركية، ومن لغات إفريقيا، ومن اللغات الآسيوية ومن اللغات الأمريكية الهندية.

وكما أن الحاجة ماسة في العصر الحديث إلى الاشتراق من المعرف، فإن الاشتراق من الجامد ليس بأقل أهمية. فقد وقف كثير من اللغويين بالاشتقاق من الجامد عند حد السماع. ففي "لسان العرب" في مادة (جرب) ورد:

"وجوريته فتجورب. أي ألبسته الجورب فلبسه". وورد في محاضرات الراغب. "الحجاج لما جنق الكعبة"، أي أنه اشتق فعلاً من "المجنق".

وورد في نزهة الجليس قول الإمام عليه السلام: "مهرجونا كل يوم". وورد في نشوار المحاضرة "فرطلتها" أي فوزنتها في يدي لأعرف ثقلها اشتبه من الرطل...

ولا شك أن القياس في هذا الباب واسعاً أمام اللغة في استيعاب معاني التعامل مع الأدوات الحضارية الحديثة التي تدخل في حياة الإنسان بالعشرات والمئات كل يوم.

فالاشتقاق في أسماء الأحداث ضروري، لابد منه ولا يجوز أن يكون عدم السماح حجة في منع قياسه واطراده. فإنه ربما نظر إلى الفعل الذي تفعله كل أداة مستحدثة، فإن استطعنا أن نشتق لها من فعلها أسماء فذاك. وإن نظرنا فيها على طريقة التعريب، فإن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري بصورة رئيسية إما على طريقة الاشتقاد وإما على طريقة التعريب، وقد يجمع بينهما.

التعريب:

التعريب والإعراب في اللغة معناهما واحد وهو الإبانة والإفصاح يقال: أعرّب عن لسانه وعرب أبان وأفصح. وتعرّيب الاسم الأعجمي أم تتفوّه به العرب على مناهجها. تقول: عربته العرب وأعربته أيضاً. والعرب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها.

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارهم ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان. وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير...

فالمغرب كثير من كلام العرب وفي علوم العرب قديماً وحديثاً. والاقتباس عام بين اللغات لا تستغني عنه أي لغة ما دام العلم مشاعاً بين الأمم... والعلم في نمو وازدياد، فلا بد أن تزداد معه المصطلحات والسميات. فالتعريب إذن ضروري لحياة العلم... ولا خوف منه على كيان اللغة. فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها، وأن بعض مفردات غريبة عنها قد التجأت إليها، فأضافت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطبعها، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها.

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجأ إليه في النقل عندما لا توجد الكلمة العربية تترجم بها الكلمة الأعجمية أو يشتق منها اسم أو فعل أو يتجوز منها مجاز أو ينحت منها لفظ.

واللغة العربية تتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء أشبه العربي من كل وجه أو حفظ على ما يدل على أعجميته.

إن العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه في كل يوم من الأدوات والمخترعات الجديدة تتطلب ألفاظاً كثيرة لهذه الآلات والأدوات، كما أن طبيعة بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التي تتميز بهذا التطور الضخم السريع، وبما تتميز به من مصطلحاتها من حيث ارتباط ألفاظها بعضها ببعض، كل ذلك يبرر لنا اللجوء إلى تعريب الألفاظ، وإلا اختلط الأمر علينا وضاع المدف وبقىانا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء في سلم المشاركة والإبداع.

فالتعريب يعني اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبّر عن كل ظلال المعاني الإنسانية، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا تستغني عنها في نهضتنا العلمية.

وكان هناك فريقان في أمر التعريب، ففريق يذهب إلى وجوب اتباع الكلمة العربية وزناً عربياً، فليس يكفي أن تتكلم العرب باللغة الأعجمية حتى

تغدو معربة... وفريق آخر وفيه سيبويه وجمهور أهل اللغة يذهب إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً يلحقونها بأبنية كلامهم حيناً، وحياناً لا يلحقونها. بل وقد ذهب بعضهم إلى القول: إذا عربت الألفاظ الأعجمية وتمكنت لدى العرب، صرفها العرب واشتقوا منها مثل: دجاج، فرنن، زنجيل، لجام... الخ.

ونحن نرى ألفاظ كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة. مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الأخرى، دون حرج. فلم يصبها الفساد، ولم تفقد هويتها بل على العكس من ذلك ازدادت غنى وخصوصية وأصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر، لفترة طويلة..

ومهما يكن من أمر فلا بد من إباحة التعريب بأوجهه المختلفة ونقل الأسماء الأعجمية إلى العربية بحروفها وذلك مثل أسماء الأعلام الأعجمية واللباس والشراب والطعام والأثاث والعقاقير الطبية غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم وغير ذلك... الخ.

ولعل من الواجب أن تتعرف جميع المؤسسات اللغوية على أصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب يقاس عليها ويجري على نسقها، ويمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب، لكي تصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الألفاظ في المصطلحات، فيسهل العلم وتوحد مناهجه ويعمل نشره في جميع الأقطار العربية.

وإن ما يسمى باقتراض الألفاظ في اللغات الأخرى ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يتيح لنا نقل الألفاظ الأعجمية دون تغيير أو تشذيب.

فقد أصبح اقتراض الألفاظ بين لغات أوروبا أمراً مألوفاً... وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الأصلية، والكلمات المفترضة مع ذكر اللغة المستعار منها. فهناك لغات حديثة يتخرج أهلها في قبول كل أجنبي من الكلمات... وهنالك لغات ترحب بذلك الفيض الزاخر من الألفاظ

المستعارة كالإنجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين، كما أشرنا سابقاً، أن أكثر من نصف كلماتها أجنبية الأصل. واقتراض الألفاظ في أغلب حالاته وليد الحاجة حيناً أو الإعجاب حيناً آخر، كما رأينا في الألفاظ المعرفة التي شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الأصل.

النقل المجازي:

وهو طريقة في التوسيع اللغوي تستمد من اللغة نفسها، وتفيض من عناصرها اللفظية المائتة والمهجورة. وهذا الأسلوب يطلق عليه اللغويون اسم المجاز مرة والنقل مرة أخرى. أما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه أو يتصل بسبب منه.

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى على سبيل المجاز، حتى يصير المجازي هو الذي ينصرف إليه الذهن عند الإطلاق. ومن هنا يمكن بعث الكلمات القديمة للدلالة على معانٍ حديثة بطرق النقل المجازي. ولا يلبث اللفظ لغيبة استعماله في المعنى المجازي، ألا يفهم منه عند التجدد من القرينة إلا هذا المعنى مثال ذلك:

المدرعة، الغواصة، الطيارة، السيارة، الحافلة... الخ.

النحت والتركيب:

التركيب أمر من أمور النحت. فالكلمتان تتركان إحداهما بجانب الأخرى في كلمة واحدة، وبنحوات من أجزاء كل منها، تنتهيان إلى وضع هو النحت عينه، ويرى بعض اللغويين أن النحت والتركيب أمر واحد بل ويذهبون إلى أنها لون من ألوان الاشتقاء. وكان القدماء يطلقون "التركيب" على "النحت" كما هو رأي الخليل. ومن اللغويين المعاصرین من يعبر عن النحت في معناه الاصطلاحي "بالتركيب والاختزال".

ويعرف القدماء النحت بقولهم: أنه استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر.

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الأعجمية التي لا مقابل لها، إلى العربية والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في اللغة كثير مثل: البسملة، الحمدلة... أما أمثلة النحت المنسوب فهي كثيرة مثل: عبشي، وعبدري... الخ وبالرغم من اختلاف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة، يجتمعون على أن النحت السائع يزيد العربية الحديثة غنى فهناك من يقول بعدم الحاجة إلى النحت، لا شيء إلا أن علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية، وأخرون يقولون أنهم لا يرکنون إليه في المصطلحات الجديدة إلا نادراً لالسبب إلا لأنه على حد قولهم نادر في العربية... الخ. وهنالك فريق معاصر آخر يرى في النحت وسيلة لإغناء العربية الحديثة، وطريقة في التوسيع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها.

إلا أنها في كثير من الأحيان تُعبر عن بعض المعاني العلمية بتراتيب متنوعة، فإذا كانت هذه التراتيب قصيرة وسهلة يمكننا أن نستمر في استعمالها على حالها، أما إذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة أن ننحتها لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها. ومؤدي هذا الرأي أنه يقول بقياسية النحت عند الحاجة، ولا شك أن هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطويرها. فقد قال المتقدمون مثلاً: اللامتناهي، اللاضروري، اللاأدرية.

ونقول الآن: اللاملكي، اللامركزية، اللاشعوري.. الخ. لقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسياً لكي يستخدم في المصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية. ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد في قبول قياسيته، وما زالوا يرون الوقف فيه عند حد المساع.

ونحن لا نرى في هذا التضييق إلا إعاقة لمسيرة اللغة، في الوقت الذي نبحث فيه اللغة من جميع إمكانياتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في أدواتها ومعارفها وعلومها...

وربما كان من المفيد أن نفتح باب القياس في النحت على مصraعه على أن تراعى فيه أوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تأليفها...

فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ثقيلة الاستعمال وتتجه جميع اللغات الحية إلى جعلها قصيرة مستساغة. وليس أمامنا ونحن في دور التجديد السريع إلا أن نفيض من تجارب اللغات الحية. فإذاً أن نعرب بالنقل وإنما أن ننحو من "المصطلحات الوصفية" كلمات مفردة مستساغة لا ليس فيها، بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكون من كلمة واحدة ذات معنى محدد.

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتكنولوجيا:
 لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنّة الترجمة أيام العباسين حتى أصبحت في طليعة اللغات العلمية. ثم جاءت عصور الانحطاط فغيرت مقومات العربية كتابة وكلاماً، وجد نشاطها حتى أصبحت مفتقرة إلى المصطلحات العلمية والفنية... وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين أن لا يرى لها أثر إلا بين أناس يعدون على الأصابع إذ كان لسان التدريس وأغلب الصحف باللغة التركية. وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت حركة عربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي. وازدهرت حركة التعريب. وكانت تسخير في قوتها وضعفها، قوة النضال الاستقلالي والتحرر من قيود الاستعمار. فقد انبعثت حركة المجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين. فتأسس المجمع اللغوي في دمشق، وفي 1926م تأسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام اللغوي في القاهرة وكان القصد الأسمى لأنبعاث حركة المجامع، العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة. قامت هذه المجامع اللغوية، تعضدها جهود لغوين كثري إنجازات مشكورة ولكنها لم تتحقق المهد الذي من أجله وجدت. وليس من شأننا الآن أن نقوم بهذه الجهود. فقد كانت هنالك إنجازات مهمة وتخبطات اتخذتها أعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل القضاء عليه إذا ما سُنحت لهم الفرصة.

لقد رأينا فيما سبق أن اللغة العربية تحمل في طياتها وفي حقيقة ترسيبها وجودها أدوات تعتبر من خصائصها الأساسية، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يدعه الإنسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية. وليس هذا بالأمر الجديد على العربية لكي تخشى منه عاقبة الإخفاق، فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدأ وذلك في عصورها التاريخية الظاهرة. ومن هنا نستطيع أن نستخلص القول: أن تعريب العلوم أو عدم تعريبيها، وأن تعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة، أو عدم تعريبيه إنما هو قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية أو بقدرتها على الاستيعاب، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعاديعروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الأمة في جميع أقطارها، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي.

فإن أيسر مبادئ التربية تقول: يستطيع الفرد أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الأجنبية، مهما كانت درجة إتقانه لهذه اللغة.

(هذا فضلاً سبق وأشرنا إليه من أن الإبداع والابتكار مرتبطان عفوياً بلغة الأم أي باللغة القومية).

نقول إن قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ومن ناحية أخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتوقع على نفسه، المتفاهق والمتعذر بلغته والمتقطع في أسلوبه، فإن هذا التيار مع الأسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتنكرين للغة العربية وتراثها وقيمها بالحجج العاجزة.

وهنالك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الأجنبية وأمهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعة باللغات الأجنبية الحية أولاً، لكي نبدأ تعريب التعليم الجامعي ولا سيما في الكليات العلمية. وهذا يعني أيضاً من حيث النتيجة أن نبقى تبعاً، متأخرین عن التيار العلمي. فإن البحوث العلمية والمخترعات، تضيف إلى المعارف الإنسانية كل يوم عشرات الألفاظ. ونحن

نعتقد أنه لا خير لنا أن نبدأ بمهارسة حرك التعريب في مجالاتها المختلفة وبأدوات هذه اللغة النامية التطور، التي أوضحتناها سابقاً. فإن التفاعل بالمهارات العلمية الحادة وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها أمم حديثة لم تكن لغتها القومية الأسباب المتوافرة في خصائص العربية وخلاصة القول فإن الوسائل التي يمكن الاستفادة منها، بصورة رئيسية لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معانٍ جديدة تتلخص في ثلات طرقٍ أصلية هي:

(1) الاشتراق (2) التعريب (3) النحت. ونحن نعتقد أن الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الأداة أو تلك أو حول التحفظات أو التحديدات التي يديها بعض اللغويين على استعمال هذه الأدوات لا يمس جوهر اللغة في شيء. فكيف يمكن أن يكون غنى اللغة في وسائل نموها سبباً لإعاقتها عن التقدم ومواكبة الحضارة العالمية.

ولجأَت بعض المجامع اللغوية إلى وضع أولويات في استخدام أدوات نمو اللغة مثل الاشتراق والنحت، مدفوعة بحرصها على سلامَة اللغة. فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تأسيسه سنة 1926م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية. جاء فيها: "أن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتراق وإما على طريقة التعريب، ولا مانع من الجمع بينهما، ويرجع إلى النحت عند الحاجة"... وكذلك: "لا يذهب إلى الاشتراق في وضع الكلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها، بخلاف التعريب. فإنه يجوز تعريب كلمة أعمجمية مع وجود اسم لها في العربية"... وكذلك يرجح الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشِي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة". وهذه قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها، ولكنها لا يمكن أن تكون سبباً في إعاقة مسيرة اللغة بحججة القصور في العمل أو الإمعان في التدقيق والاختيار... فليس المقصود مطلقاً الوصول إلى المصطلح الذي لا يمكن أن يفضلُه مصطلح آخر... الخ. ولقد أشرنا إلى الطبيعة الرمزية للألفاظ فيها سبق.

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقib عنها أولاً في كتب اللغة والعلم القديمة، فإذا وجدتها اعتمدها. وإذا لم يجدها جائلاً إلى الاستنقاب أو المجاز أو النسب أو التصغير، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية، حتى تكون ثروة مستمدّة من أصولها ومواردها فنستغني بها عن سواها، ونستطيع أن نثبت أمام جيوش الألفاظ الأجنبية التي تحاول أن تغزوها... ويحيى المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم...

الخاتمة:

إن لغتنا العربية تواجه في هذه الفترة العصيبة من حياة أمتنا أخطاراً تداهمها من العدو الأجنبي ومن بعض أنبائها مع الأسف. وأن الواجب يقضي على الغيورين على لغتهم والحربيين على بقاء أمتهم وتدعيم حريتها واستقلالها أن يتکانفوا من أجل بعث حركة لغوية متطورة وذكية، تصبح بنتيجة لها اللغة العربية لغة العلم والأدب والحضارة. تستوعب المصطلحات العلمية وتؤهل علماءها للمشاركة والإبداع.

فالمصطلحات العلمية هي الرافد الأساسي للمعاجم والنهوض باللغة على وجه العموم وهي تشمل ألفاظ الحضارة الحديثة في شتى فروعها: في المعرفة النظرية وفي التطبيقات العلمية ولا يراعي في الاصطلاح إلا الأفضل مما اشتدى إليه مسيس الحاجة ولو كانت الكلمة أعمجمية الأصل.

وأخيراً فنحن نود أن نجعل اقتراحاتنا على الوجه التالي:

1) لقد حان الوقت لتأسيس مجمع لغوي واحد، تعاونه المؤسسات اللغوية الأخرى في مختلف الأقطار العربية تكون مهمته إعداد المفردات والاصطلاحات الاستعملية الضرورية بالسرعة الالزامية على أن تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ. ويدعم هذا المجمع اللغوي دعماً مالياً ومعنوياً. ونحن نتطلع لأن يكون اتحاد المجامع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة.

- (2) إيجاد هيئة جامعية، فيها كفاءات ممتازة من أجل ترجمة الدوريات والfolios والمجموعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية.
- (3) على المؤسسات العلمية العربية اتخاذ خطوات إيجابية في التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمي ولكي تتمكن من جعل اللغة العربية رسمية للتعليم الجامعي.
- (4) توطيد الصلات الأدبية بين العلماء والمفكرين والمعلمين في الأقطار العربية.
- (5) يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة في نمو اللغة وأن يرد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة، وأن يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوا، وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة. وأن قبول المسموع الشائع من هذه اللغات الأجنبية التي دخلت إلى لغة المصانع والحرف والمخترات ولا سيما على نطاق البلاد العربية، يوقعنا في البلبلة والترادف، وهنا يأتي دور المجمع اللغوي الموحد الذي أشرنا إليه. فالألفاظ الدخيلة في عامية كل قطر من الأقطار العربية تختلف باختلاف المؤثرات السياسية والاجتماعية الخ.
- (6) هنالك مخاطرة في ترك علماء اللغة يعملون وحدهم، دون أن يعمل معهم علماء متخصصون في المادة التي يعرض لها الباحث، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه.
- (7) وضع معجم تاريخي للألفاظ العربية، بحيث يبين المعاني المختلفة التي دلت عليها خلال النصوص وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر.
- (8) وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته واستجابته لطلاب العصر تعاون في وضعه الأقطار العربية وتلتزم باستعماله.

9) العناية بتحقيق المخطوطات العربية وإحياء ما في المصادر العربية القديمة في مجال اختيار المصطلحات العلمية...

10) القيام بحفريات في الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة في إعداد التاريخ العربي القديم.

ونحن نعتقد أن تطور اللغة العربية وجعلها لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكلياته، يعتمد قبل كل شيء على تبني سياسة التعريب. وأن اتخاذ القرار والاندفاع في تطبيقه ومارسته بتوفير جميع المتطلبات الالازمة هو المنطق الحقيقى في معالجة هذه القضية القومية والحياتية للأمة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، الطبعة الثانية، القاهرة.
- أحمد تيمور: السماع والقياس، الطبعة الأولى، القاهرة، 1374هـ - 1955م.
- أحمد عيسى: التهذيب في أصول التعریب، القاهرة، 1342هـ - 1924م.
- أسعد علي: تهذيب المقدمة اللغوية، الشيخ عبد الله العاليلي، بيروت، 1388هـ - 1968م.
- التنوخي - القاضي أبو علي الحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالحي 5 أجزاء - 1971 - 1972.
- الجواليني، أبو منصور موهوب بن أحمد، (465-540هـ)، المعرف من كلام الأعمامي على حروف المعجم، تحقيق وشرح محمد شاكر، طهران 1966.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت 1961.
- السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جزءان، القاهرة، 1387-1958.
- عثمان سعدي، قضي التعریب في الجزائر، القاهرة.
- اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم اللسانية والصوتية، المجلد الأول العدد 2 جامعة الجزائر.
- محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية وتاريخها، دمشق.
- محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية، القاهرة، 1353.

- محمد رضا الشبيبي، *تراثنا الفلسفية*، بغداد، 1385هـ 1965م.
- مصطفى جواد، *المباحث اللغوية في العراق*، الطبعة الثانية، بغداد 1385هـ - 1965م.
- المكي العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي، *نرفة الجليس وفيه الأدب الأنسي*، ج 2، النجف - 1967.
- ابن منظور، *لسان العرب*.
- المؤتمر الأول للمجتمع اللغوي العلمي، دمشق 1956.
- CH. BRUNEAU, *Petite histoire de la langue française*.
Tome premier. Paris 1966.

• مجلة "اللسان العربي": الجزء الأول من العدد الثاني عشر(ع. 12 ج. 1)، من الصفحة 50 إلى 62.
سنة النشر: 1975.